

استعمال المعاني والمصطلحات اللغوية في الشعر

www.maarig.com

رائد بن ناصر بن خلفان العامري قسم اللغة

يستفيد الشاعر مما حوله في صوغ تصويراته ومجازاته، ويستفيد من معارفه وعلومه فيسكبها في شعره ليكون أبلغ وأعجب، وليجعل بيانه أفصح وأطرب، ومن طرائق الشعراء في تعبيراتهم تضمين القواعد والمصطلحات والمعاني النحوية واللغوية في الشعر نحو قول أبي تمام (231هـ) في وصف الخمر:

خَرَقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَائِبُهَا كَتَلَاعِبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ

فقد شبّه الخمرَ بالفعل، وهو أقوى العوامل النحوية المؤثرة في الأسماء، ومن ذلك ما قاله محيي الدين النحوي (691هـ) -المعروف بحافي رأسه-:

ومعتقد أنّ الرياسة في الكبرِ فأصبح ممقوتًا به وهو لا يدري

يجرّ ذبولَ الفخرِ طالبَ رفعةٍ ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجرِّ

ونحو قول ابن نباتة المصري (768هـ):

ولا تأمننّ عروضَ الزمانِ فإنّ الزمانَ فعولٌ فعولٌ

استعمال المعاني اللغوية في الشعر ومصطلح التوجيه في كتب الأدب:-

وهذا اللون من الشعر طريق مهيع وميدان فسيح يتبارى فيه الشعراء؛ فمنهم من يسبق ومنهم من يكبو به جواد شعره، وهذا الاستعمال للقواعد والمصطلحات اللغوية في

الشعر يلتقي أحياناً بما يسمى التوجيه في كتب الأدب، قال ابن حجة الحموي (837هـ):
 "وأما التوجيه¹ عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته إلى
 أسماء متلائمة اصطلاحاً، من أسماء الأعلام أو قواعد علوم وغير ذلك مما يتشعب له
 من الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني، من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية"²؛
 فالتوجيه قد يكون في علوم اللغة، وهو ما يلتقي بموضوعنا، ويكون في غيرها من العلوم،
 وقد ذكر ابن حجة أمثلة في النحو والعروض والفلك والهندسة وغيرها، ومنها قول ابن
 حجة نفسه في علم العروض:

في عَرُوضِ الجفا بُحُورٌ دُمُوعِي ما أفادتُ قلبي سوى التقطيعِ

ومن التوجيه في علم الهندسة قول الشاعر:

محيط بأشكال الملاحه وجهه كأنَّ بها (إقليدسًا) يتحدثُ

فعارضُهُ خطُّ استواءٍ وخالُهُ به نقطةٌ والشكلُ شكلٌ مثلثُ

وقال ابن معصوم (1119هـ): "ومن التوجيه في علم النحو قول البوصيري في البردة:

خفضت كل مقام بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم"³

وممن ذكر مصطلح التوجيه حيدرُ الحلي الحسيني (1304هـ)، ومن الأمثلة التي ذكرها؛

"قول ابن شرف القيرواني في رجل عجز عن افتضاض عرسه:

كم ذكرٍ في الورى وأنثى أولى من اثنين باثنتين

أرى الليالي أتت بلحنٍ لجمعها بين ساكنين"⁴

¹ التوجيه عند المتقدمين ذكره ابن حجة قبل وهو ما يحتمل وجهين مثل الإبهام.

² خزانة الأدب للحموي، 353/2.

³ أنوار الربيع في البديع، 153/3.

⁴ العقد المفصل في قبيلة المجد المؤئل، ص 592.

ومصطلح التوجيه تداخلت معه واقتربت منه مصطلحات أخرى قريبة منه⁵؛ كالتورية التي ذكرها ابن حجة في تعريف التوجيه، وكالاقتباس قال ابن حجة: "وأما الاقتباس، من علم النحو، فقد اتسع مجالهم فيه، حتى غلب على غالبهم التوجيه"⁶.

وليس لمصطلح (التوجيه) ذكرٌ عند الثعالبي (429هـ) في كتبه (يتيمة الدهر) و(خاص الخاص) و(التمثيل والمحاضرة) و(المتنبي ما له وما عليه) مع أنه ذكر أمثلة وشواهد في هذه الكتب يصح وضعها فيما جعله ابن حجة وغيره في التوجيه، فلعل هذا المصطلح نشأ متأخراً، ولا يبدو وصف الثعالبي في غير موضع من كتبه لهذا البديع من الشعر بقوله: (التمثيل بما هو من جنس صناعته) مصطلحا، على أنه قد جاء بعد الثعالبي من تابعه في تعبيره. قال يوسف البديعي الدمشقي (1073هـ): "ومن بدائع المتنبي التمثيل بما هو من جنس صناعته"⁷، وقال عبد الله الطيب (1426هـ) عن المتنبي: "ثم افْتَنَّ في باب من البديع استحسنه أبو منصور في شعر أبي الطيب، أن التشبيه فيه من جنس صناعته"⁸.

ولم يذكر صاحب بهاء الدين الإربلي (692هـ) في كتابه (التذكرة الفخرية) مصطلح التوجيه، ولم يضع اسماً أو مصطلحاً لاستعمال الشعراء المصطلحات والمعاني اللغوية مع أنه ذكر أمثلة كثيرة. قال "قد استعمل الشعراء وأكثروا في ذكر ما يتعلق بألقاب النحو"⁹، ومن الأمثلة التي ذكرها قول الشاعر:

أيا قمرًا من حسنٍ وجنته لنا وظلّ عذاريه الضحى والأصائلُ
جعلتك بالتمييزِ نصبًا لناظري فهلاً رفعتَ الهجرَ والهجرُ فاعلُ

⁵ ينظر: أنوار الربيع، ص 144.

⁶ خزانة الأدب وغاية الأرب، 475/2.

⁷ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص 423.

⁸ المرشد إلى فهم أشعار العرب، 194/5.

⁹ التذكرة الفخرية، ص 129.

على أن هذا الاستعمال للمعاني والمصطلحات اللغوية قد يجعله المعاصرون نوعاً من أنواع التناص¹⁰، وما أقصده أعم من التوجيه في علوم اللغة والتناص كليهما؛ لأنني أقصد الاستعمال الناشئ من معرفة الشاعر للقواعد والمصطلحات اللغوية ومنه معرفة صورة الحروف الهجائية ومنه معرفة الشاعر لمخارج الحروف وطريقة نطقها¹¹، فيدخل في ذلك التشبيه والتورية والاقتباس.

ابتداء استعمال المعاني والمصطلحات اللغوية:-

وإذا تتبعنا بدء هذا الضرب من الشعر فلن نجده في العصر الجاهلي وصدور الإسلام إلا قليلاً كتشبيه الشعراء رسم الدار والأطلال بالحروف أو بما يخطه الكاتب، وأما العلوم اللغوية ومصطلحاتها فلم تكن بعد مستقرة آنذاك. ومن الشعر الجاهلي قول الأحنس بن شهاب:

لابنة¹² حطّان بن عوفٍ منازلٌ كما رَقَّشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبٌ

وقال امرؤ القيس:

لَمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ

فالتشبيه في هذين البيتين وأضربهما ناشئ من معرفة الشاعر لشكل الكتابة وصورة الحروف حتى إن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وظل هذا التشبيه حتى بعد العصر العباسي، واستعمله السلطان سليمان النهاني (915هـ)، ومن أمثله قول رؤبة (145هـ):

¹⁰ التناص في شعر ابن سهل الأندلسي: عامر محمد دخيل الجبوري، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2015-2016م، ص42

¹¹ ستأتي إن شاء الله أمثلة لأبي نواس والمتنبي.

¹² (لابنة) وردت في المفضليات ص304 بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون همزة وصل، وهو جائز.

كما رأيتَ في الكتاب الجيما

والقافَ تتلو أسطرا والميما

أو كتبًا بُيِّنَ من حامِما

"شبه آثار ديارٍ - قد درس أكثرها - بحروف باقية في كتاب دارس"¹³.

ومن الشعراء القدامى الذين استعملوا رسم الحروف في تشبيهاتهم في غير ذكر الديار والوقوف على الأطلال الراجز أبو النجم العجلي (130هـ) الذي يقول:

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْخَرْفِ

تَخُطُّ رِجْلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلَفٍ

تَكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامَ الْفِ

فهو يصور رجله في مشيته وهو سكران بأنهما تخطان لاما وألفا!¹⁴، والأبيات من شواهد سيبويه.

وأنشد أبو زيد الأنصاري (215هـ) لراجز يصف جنديا، وقيل غرابا:

يَحْجُلُ فِيهَا مِقْلَزُ الْحَجُولِ

بَغِيًّا عَلَى شَقِيهِ كَالْمَشْكُولِ

يَخُطُّ لَامَ الْفِ مَوْصُولِ

¹³ شرح أبيات سيبويه، 263/2.

¹⁴ مرّ السرداق الذهلي بمجلس من مجالس الأزد وقد شرب، فاختلفت رجلاه! فقال شابّ منهم: إنها لمشية سكران، فأقبل عليه السرداق وقال:

معاذ إلهي لست سكران يا فتى وما اختلفت رجلاي إلا من الكبر

ومن يك رهنا لليالئ ومرّها تدعه كليل القلب والسّمع والبصر

الشعر والشعراء، 679/2.

وقال شاعر يهجو نحويا اسمه حفص:

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ وأنفِ كمثلِ العودِ مما تتبَعُ

تتبعُ لحنًا في كلامِ مرقشٍ وخلقُك مبنيٌّ على اللحنِ أجمعُ

فعيناك إقواء وأنفك مكفأً ووجهك إيطاء فأنت المرقعُ

ونسب الجاحظ في البيان والتبيين وابن قتيبة في الشعر والشعراء والقاضي الجرجاني في الوساطة هذه الأبيات إلى البردخت، وهو شاعر عاصر جريرا (110هـ) وهجاه كما ذكر الجاحظ في رسائله وابن قتيبة في الشعر والشعراء، وترى في هذه الأبيات الإقواء والإكفاء والإيطاء، وهي مصطلحات عروضية، فإن صحت نسبة الأبيات للبردخت دل على أن هذه المصطلحات الواردة في الأبيات نشأت قبل الخليل بن أحمد (170هـ)! إلا إن كان البردخت من المعمرين.

والأقرب أنها لشاعر من المحدثين، والشعراء المحدثون هم الذين جاؤوا بعد طبقة جرير والفرزدق كبشار بن برد (167هـ) وأبي نواس (198هـ) وأبي تمام (231هـ). قال المرزباني: "وقد ذكر بعض المحدثين في أهاجيمهم السناد والإقواء والإكفاء والإيطاء وغير ذلك من العيوب"¹⁵، ثم نقل هذه الأبيات المنسوبة إلى البردخت، وذكر أنها لحماذ عجرد (161هـ)، وهو شاعر عاصر بشار بن برد وكانت بينهما مهاجاة.

واستعمل شاعر أسماء الحروف للدلالة على علم النحو. قال المبرد (285هـ): "قال رجل من الأعراب يذم النحويين إذ سمع خصومتهم فيه:

إذا اجتمعوا على ألفٍ ويايٍ وتاءٍ هاجَ بينهمُ قتالٌ"¹⁶.

¹⁵ الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ص 20.

¹⁶ المقتضب، 236/1.

ومن المحدثين الذين قالوا شعرا في المعاني والقواعد اللغوية أبو نواس (198هـ) الذي اقتنص (واو) عمرو ليجعلها في تشبيهاته فقال:

إنّما أنت في سليمٍ كواوٍ ألحقت في الهجاء ظلماً بعمرو

فجعل (واو) عمرو مثلاً. قال الثعالبي: "وأول من ضرب المثل بها أبو نواس"¹⁷، واستعملها الشعراء بعد أبي نواس، ومن ذلك قول ابن بسام:

خَلَّ عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا وَاوِ عَمْرٍو أَوْ كَالْحَدِيثِ الْمُعَادِ

ومن أبيات أبي نواس قوله:

فأجابني والسكّر يُفسدُ نطقه بتلجج كتلجج الفأفاء

فأخذه المتنبي وقال¹⁸:

يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّؤُوسِ كَمَا مَرَّ رَ بْتَاءَاتِ نُطْقِهِ التَّمْتَامِ

مظان هذا البديع من الشعر:-

من مظانّ هذا الضرب من الشعر كتب تراجم اللغويين الشعراء، قال ابن خلكان في ترجمة أبي المحاسن الشواء: "وكان كثيراً ما يستعمل العربية في شعره"¹⁹، ومن ذلك قوله:

وكنا خمس عشرة في التئامٍ على رغم الحسود بغير آفة

¹⁷ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص152.

¹⁸ الإبانة عن سرقات المتنبي، ص97.

¹⁹ وفيات الأعيان، 234/7.

فقد أصبحت تنوينًا وأضحى حبيبي لا تفارقه الإضافة

وفي ترجمة اللغوي ابن طلحة (618هـ) في كتاب بغية الوعاة نُقل قوله:

بدا الهلال فلَمَّا بدا نقصتُ وتمَّ

كأن جسي (فعلٌ) وسحر عينيه (لَمَّا)

وجاء في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي (667 هـ) قوله:

عذبت قلبي بهجر منك متصل يا من هواه ضمير غير منفصل

مازال من غير تأكيد صدودك لي فما عدوك من عطف إلى بدل

ورثى شرف الدين الحصني ابن مالك الأندلسي (672هـ) - كما جاء في ترجمته - بمرثية

مُلئت مصطلحات نحوية وصرفية ومنها قوله:

عدم النعت والتعطف والتو كيد مستبدلا من الأبدال

ألم قد عراه أسكن منه حركاتٍ كانت بغير اعتلال

قال الصلاح الصفدي: ما رأيت مرثية في نحوي أحسن من هذه المرثية، ثم إن الصفدي

نفسه رثى أبا حيان الأندلسي (745هـ) بقصيدة تشبه القصيدة التي أعجبتة واستحسنها

في رثاء ابن مالك، فقال في رثاء أبي حيان:

أمسى منادئ للبلبي مفردًا فضمَّه القبرُ على ما ترى

يا أسفا كان هدَى ظاهرًا فعادَ في تربته مُضمرا

وكان جمع الفضل في عصره صحَّ فلَمَّا أن قضى كسرا

ومنها:

لم يدغم في اللحد إلا وقد فكَّ من الصبر وثيق العرى

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن موسى الصريفي (790هـ) ذكر قوله:

وقائلة أراك بغير مال وأنت مهذب علم إمام

فقلت لأن مالا عكس لأم وما دخلت على الأعلام لأم

وقال شهاب الدين الخفاجي في ترجمة أبي بكر الجوهري الشامي: "شاعر عذب الكلمات ... وجوهري نفثاته صحاح ... فمن جواهر كلماته الصحاح، التي هي أرق من نفس الصبا في الصباح، وقوله في مليح اسمه داود، ورتيب اسمه عمرو:

أفدي غزالاً له خالٌ بوجنته مع عارضٍ شبه واو العطفٍ ممدود

كأنما الخال فوق الخد يحرسه حذار سرقة عمرو واو داود

ولعل قول الخفاجي: (وجوهري نفثاته صحاح ... جواهر كلماته الصحاح) إشارة إلى إسماعيل بن حماد الجوهري ومعجمه الصحاح.

اللغويون والنحويون من الشعراء يستعملون هذا الضرب من الشعر:-

يبدو أن كثيراً من الشعراء الذين استعملوا المصطلحات والمعارف اللغوية في الشعر هم من أهل العلم واللغة والأدب أو ممن درس شيئاً من علوم اللغة، فجرى ذلك في أشعارهم كما تبين شيئاً من ذلك عند ذكرنا طائفة منهم في كتب تراجم اللغويين، ومن هؤلاء الشعراء اللغويين أبو الطيب المتنبي (354هـ) الذي ناظر الأدباء والنحويين في بلاط سيف الدولة، ومن أبياته قوله:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

وزعم ابن بسام أن المتنبي سرق هذا البيت من قول أبي تمام:

خرقاً يلعب بالعمول حباؤها كتلاعب الأفعال بالأسماء

وعندي أن قول ابن الرومي (283هـ):

ألا أجز مدحك في قاسم فما لحروفك من جازم

أقرب إلى قول المتنبي من بيت أبي تمام.

ويقول المتنبي:

وكان ابنا عدو كآثره له ياء حروف أنيسيان

أنيسيان: تصغير إنسان، وهو أكثر حروفًا من (إنسان)، "لكن تلك الكثرة مشعرة بقلّة، فلا غناء لهذه الزيادة التي فيه، لما يلحقه من التصغير، ونقيصة التحقير. فهو يدعو لفناخسر²⁰، فيقول: لا كآثرك ملك باثنين إلا كانا له كالياءين اللتين في (أنيسيان) وكلتاهما زائدة، لا غناء لهما، وأيضا فإنهما للتحقير"²¹. قال ابن فورجة (455هـ): "وما أحسن ما صاغ المعنى لولا بعده عن الإفهام"²².

ولعل بهاء الدين زهير (656هـ) أخذ هذا المعنى من المتنبي في قوله²³:

صحبته ولم يكن نظيري قدّمته وهو يرى تأخيري

نقصت إذ جعلته تكثيري كما تزد الياء في التصغير

وما أحسن قول المتنبي!:

أمضى إرادته ف(سوف) له (قد) واستقرّب الأقصى ف(ثم) له (هنا)

²⁰ فناخسر: هو أبو شجاع عضد الدولة (372هـ)

²¹ شرح المشكل من شعر المتنبي، ص 330

²² الفتح على أبي الفتح، ص 319.

²³ ديوان بهاء الدين زهير، ص 131.

على أن المتنبي لم يكن من المكثرين قياساً إلى فيلسوف الشعراء العالم اللغوي الأديب
أبي العلاء المعري (449هـ) الذي أكثر فأبدع وأمتع، ومن أبياته قوله:

مفعول خيرك في الأفعال مفتقدٌ كما تعذر في الأسماء فَعْلُولُ

وهو - كما ترى - ليس معنى سهلاً لغير المتخصص، والمراد أنه ليس في الكلام (فَعْلُول) كما قال ابن دريد: "وليس في الكلام فَعْلُول بفتح الفاء إلا صَعْفُوق" والمعري نفسه قال في رسالة الملائكة: "ولم يجعلوه مثل فَعْلُول لأن ذلك بناء مستنكر، وإنما جاء في صَعْفُوق لواحد الصعافقة"²⁴. ويقول:

سُرَّ الفتى من جهله بزمانه وهو الأسير ليوم قتل يصبر

لعبت به أيامه فكأنه حرفٌ يُلَيِّن في الكلام ويُنبِّر

ويقول:

وجدتني اللجين أو الثريا وتصغير المصغر لا يجوز

شبه نفسه باللجين والثريا، وهما لفظتان لم تردا إلا مصغرتين ولا يجوز بعد ذلك
تصغيرهما، وهما بعيدتان كل البعد عن معاني التحقير. ويقول:

وأكرمني على عيبي رجالٌ كما رُوي القريضُ على الزحافِ

ولا يناقض البيتان الأخيران أحدهما الآخر فلكل بيت سياقه.

ولأبي العلاء المعري أبيات في غير موضع الغرّ فيها مسائل نحوية مثل قوله مُلغِزا في (ال)
التعريف:

وَخِلَيْنِ مقرونين لما تعاوننا أزالا قصيًّا في المحلِّ بعيدا

²⁴ رسالة الملائكة، ص 235.

وينفيهما إن أحدث الدهر دولةً كما جعلاه في الديار طريداً

ومن الشعراء المكثرين في استعمال المعاني والمصطلحات اللغوية ابنُ عَنَيْن (630هـ)، وهو من أهل اللغة والأدب ترجم له ياقوت الحموي فقال: "وهو من أفاضل العصر، لغوي أديب شاعر مجيد... وهو يستحضر كتاب الجماهرة لابن دريد"²⁵.

وكفى به لغويا أن يستحضر جمهرة ابن دريد!، ومن أبياته قوله "في ابن المؤيد، وقد عَزَل:

شكا ابن المؤيد من صرفه وذمّ الزمان وأبدى السّفه

فلا تغضبنّ إذا ما صرفتَ فلا عدلَ فيك ولا معرفة"²⁶

وذكر النحويُّ ابن هشام الأنصاري (761هـ) ابنُ عَنَيْن وشواهد من شعره في مواضع من كتبه، ومن ذلك قوله عند الكلام على خبر (إن) وأخواتها في شرح شذور الذهب: "ولا تتقدم أخبارهن عليهن مطلقاً، وقد أشار إلى ذلك الشيخ شرف الدين ابن عُنَيْن حيث قال:

كَأَنِّي من أخبار (إِنَّ) وَلَمْ يُجِرْ لَهُ أَحَدٌ في النَّحْوِ أن يتقدما

عسى حرفٌ جرٌّ من نداءك يجزئي إليك فَأَيُّ من وصالك معدما"²⁷²⁸

²⁵ معجم الأدباء، 6/2661.

²⁶ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 16/117.

²⁷ رواية الديوان أحسن إعراباً في شطرها الثاني، وفيها:

عسى حرفٌ جرٌّ من نداءك يجزئي إليك فأضحى من زماني مُسلماً

ديوان ابن عنين، ص 92.

²⁸ شرح شذور الذهب، ص 263.

والبيت الأول ذكره ابن هشام أيضا في شرح قطر الندى فقال: وما أحسن قول ابن عُنَيْنٍ يشكو تأخره: كَأَنِّي مِنْ أَخْبَارٍ ...²⁹.

ولابن عنين بيتان طريفان يشبه فيهما نفسه بالاسم الموصول (الذي) في حاجته إلى الصلة والعائد يقول:

انظرُ إليَّ بعينِ مولى لم يزل يولي الندى وتلافَ قبل تلافِي

أنا ك (الذي) أحتاج ما يحتاجه فاغنم ثنائِي والدعاء الوافي

واستشهد ابن هشام بالبيت الثاني في حواشيه على ألفية ابن مالك³⁰، وهذان البيتان بعثهما ابن عُنَيْنٍ في مرضه إلى الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، وكان بينهما مؤانسة ومصاحبة، "فجاء إليه بنفسه ومعه ثلاث مئة دينار، فقال: هذه الصلة وأنا العائد ... والعائد يحتمل معنيين: أحدهما: وأنا العائد لك بالصلة مرة بعد أخرى فطُبَّ نفسًا، والآخر من عاد يعود عيادة وهي عيادة المريض"³¹.

وإذا كان ابن عنين قد نال الصلة والعائد فإن غيره لم ينلها فقال:

أنا الذي مرضت شهرًا كاملاً فما رأيت عائدًا ولا صلةً

لولا الوزير صاحب النذب الذي نعماه لي من الأنام واصلة

شارف قلعا وتدي وخاف قط عا سبي وقلت هذي الفاصلة

ومن النحويين الشعراء محيي الدين (691هـ) الأنف ذكره، ومن شعره:

²⁹ شرح قطر الندى، ص 162.

³⁰ حاشيتان من حواشي ابن هشام، 1/168.

³¹ حياة الحيوان الكبرى، 1/369.

إذا ما الليالي جاورتك بناقصٍ وقدركُ مرفوعٌ فعنهُ ترَحَّلِ

ألم ترَ ما لاقاه في جنبِ جارِهِ كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ

وهي مسألة الجر بالجوار، ولا يعرف من يقرأ البيت الثاني ما لاقاه (كبير أناس) ولن يفهمه حتى إن كان يعرف مسألة الجر بالجوار إلا إذا كان يعرف الشاهد النحوي ووجه الاستشهاد في قول امرئ القيس:

كأن أباتاً في أفانينٍ ودُقِهِ كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ

فالذي يعرف هذا الشاهد ووجه الاستشهاد يعلم أن (كبير أناس) لم يلاق شيئاً من جاره وإنما لاقى (مزمل) الجر من جاره (بجاد) المجرور، والأصل رفع (مزمل) لأنه نعت لـ(كبير أناس).

ومن أكثر الشعراء الذين يستعملون المعاني والمصطلحات اللغوية ابن نباتة المصري (768هـ)، وقد مثلنا ببيت له في أول المقالة، ومن أبياته:

وضمّةٌ للقدِّ كمُ قابلتُ منصوبَ أشواقي بمضموم

ومن شعره أرجوزة يمدح بها قاضي القضاة تقي الدين السبكي ضمّنها مواضع من ملحّة الإعراب! يقول فيها:

صرفت فعلي في الأسى وقولي (بحمدِ ذي الطُّولِ الشديدِ الحولِ)

يا لائماً ملامه يطول (اسمُ هديتِ الرشدِ ما أقول)

كلامك الفاسد لست أتبع (حدّ الكلامِ ما أفاد المستمع)

أفدي غزلاً مثلوا جماله (في مثلِ قد أقبلت الغزلة)

فالشطر الثاني من كل بيت أو الأبيات ذات العدد الزوجي (عند من يعد كل ثلاث تفعيلات بيتا مستقلا في الرجز) من ملحّة الإعراب، وهكذا يمضي في هذه الأرجوزة، فتكلف فيها وحملها ما لا تحتمل، ومنها قوله:

باب سواه اهجرُ عداك عيبُ وصغّرِ البابَ فقلُّ بُويبُ

ويصدق عليه: ومكلف الأبيات ضد طباعها.

ومن يفلّ شعر ابن نباتة يجده ذا صلة وثيقة بعلم النحو، ولا حاجة للباحث أن يقرأ سيرته ليعرف ذلك، وهو في شعره - مع استعماله المصطلحات والمعاني اللغوية - يذكر علماء النحو وكتّهم، من ذلك قوله:

امنع وصالك يا فلا ن فلستُ منك ولستُ مني

قد كان وجهك في الوري مُعاً فقد صار ابن جني

فذكر أبا الفتح عثمان بن جني (392هـ) وكتابه اللمع في النحو، ومنه قوله وقد أهدى حاجاً خروفاً:

هنئت حجاً من شذا عرفاتٍ قد عرفته

وبعثت من فرحي خرو فآ لو قدرتُ لزدتُه

لو أنه ابن خروفٍ نح وئُ النحاة بعثته

فذكر ابن خروف (609هـ)، وهو من علماء النحو، وممن له شرح على كتاب سيبويه. ولابن نباتة مواضع يستعمل فيها مصطلحات علوم أخرى غير العلوم اللغوية نحو قوله:

خذ عن عواليه أحاديث الوغى فحديثها عن راحتيه يعنعن

فذكر الحديث والعننة. ورثى ابن نباتة ابن هشام النحوي فقال:

سأروي له من سيرة المدح مسندًا فما زلتُ أروي سيرة ابن هشام

ومن الشعراء اللغويين النحويين أستاذنا الدكتور سعيد جاسم الزبيدي أستاذ النحو العربي، له أبيات في مثل هذا الضرب بل سَمَّى ديوانا له التفعيلة الأخيرة وسمى آخر ملم حروفك³²، ومن أبياته قوله إلى غازي القصيبي³³:

أغازي استوى المبتدا والخبرُ فكيف أَمِيزُ معاني الفِقْرُ

وكيف سأعربُ إن يسألوا وما من دليلٍ ولا حرف جرُّ

وقال³⁴:

فكان لي عن يميني لطف مفردة عُمانُ معجمُها لو أعوزَ اللسنُ

مشتقةً من حروف الحمد خالصةٍ يشرفُ الصرف ما يشتقُّ أو يزُنُّ

التمثيل في كتب اللغة بهذا الضرب من الشعر:-

ومن أحسن مواضع هذا اللون من البديع أن يُمثَّل به أهل اللغة في تأليفهم عند الكلام على المسألة اللغوية التي انتزع منها الشاعر المعنى في أبياته كما فعل الحريري (516هـ) في درة الغواص عند حديثه عن التصغير فقد أورد بيتين أنشدهما ثعلب وهما قول الشاعر:

بذيالك الوادي أهيْمُ وَلَمْ أَقُلْ بذيالك الوادي وذِيَاك من زهدٍ

³² للدكتور سعيد الزبيدي سبعة دواوين، وهي (وأرى العمر يضيء) و(لملم حروفك) و(على رصيف الغربية) و(أفق يمتد) و(التفعيلة الأخيرة) و(صوت بلا صدى) و(نوافذ).

³³ أفق يمتد، ص 81.

³⁴ التفعيلة الأخيرة، ص 94.

ولكن إذا ما حب شيء تولعت به أحرف التصغير من شدة الوجد

أي أن التصغير في (ذالك) ليس للتحقير بل هو تصغير تحبيب.

وأحسن الشهاب الخفاجي (1069هـ) في شرحه لدرة الغواص فأضاف أبياتا في التصغير لشعراء آخرين، وهي قول ابن الفارض:

عوذتُ حُبِّي برب الطور من آفة ما يجري من المقدور

ما قلت حبيبي من التحقير بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

وقول الشاب الظريف:

لله نحوي له مبسم حلو به يعذب تعذيبي

قد صغر الجوهر في ثغره لكنه تصغير تحبيب

وأورد الخفاجي أيضا أبيات بهاء الدين زهير الأنف ذكرها، على أن للشهاب الخفاجي مواضع أخرى في شرح الدرّة يمثل فيها بأبيات في المعاني والقواعد اللغوية تركتها اختصارا.

وقد ذكرنا من قبل صنيع ابن هشام مع أبيات ابن عنين، ومثله إيراده في مغني اللبيب عند كلامه على (كاد) قول أبي العلاء المعري مُلغِزا:

أنحويّ هذا العَصْرِ ما هي لَفْظُهُ جَرَتْ في لسانِي جُرْهُمِ وَتَمُودُ

إِذَا اسْتُعْمِلَتْ في صُورَةِ الْجَحْدِ أُثْبِتَتْ وَإِنْ أُثْبِتَتْ قَامَتْ مَقَامَ جُحُودِ

وهو رأي طائفة من النحويين زعمت أن (كاد) نفمها إثبات وإثباتها نفي، قال ابن هشام: "والصواب أن حكمها حكم سائر الأفعال في أن نفمها نفي وإثباتها إثبات".

ومن ذلك ما فعله الدميري (808هـ) في شرح لامية العجم، ففي شرحه للبيت القائل:

فقلتُ أدعوكَ للجُلَى لتَنصُرني وأنتَ تخذِلني في الحادثِ الجَلَلِ

قال: "لتنصرني: اللام لام كي، فهي تنصب الفعل المضارع ... وما أحلى قول شرف الدين بن الفارض:

نَصَبًا أَكْسَبني الشَّوْقُ كما تُكْسِبُ الأفعالَ نَصَبًا لامٌ كي

وأحسن منه قول شمس الدين التلمساني:

وَمُسْتَتِرٌ مِنْ سَنَا وَجْهِهِ بِشَمْسٍ لَهَا ذَلِكَ الصُّدْعُ فِي

كَوَى القَلْبِ مِتي بِلامِ العِذارِ فَعَرَفَني أَنَّها لامٌ كي³⁵

ومن ذلك ما فعله الدماميني (827هـ) في كتابه العيون الغامزة - وهو كتاب في العروض - عند كلامه على القبض والكفِّ في (مفاعيلن)، فقال: "وأما القبض في مفاعيلن فصالح لاعتماده على وتد واحد قبليّ، وكفُّه عند الخليل قبيح، وزعم الأخفش أنه أحسن من قبضه لاعتماده على وتد بعديّ. ولله درّ بعض الأندلسيين حيث يقول:

كَفَّفَتَ عن الوصالِ طويلِ شوقي إِيكَ وأنتَ للروحِ الخليلِ

وكفُّكَ للطويلِ فدتُّكَ نفسي قبيحٌ ليس يرضاه الخليل³⁶

ومثّل الدماميني أيضا بقول الشاعر³⁷:

يا كاملا شوقي إليه وافر وبسيط وجدي في هواه عزيز

عاملت أسبابي لديك بقطعها والقطع في الأسباب ليس يجوز

وعند ذكره للتقطيع العروضي قال: "وما أحسن قول بعض المتأخرين:

³⁵ المقصد الأتم في شرح لامية العجم، ص 150.

³⁶ العيون الغامزة على خبايا الرامزة، ص 148.

³⁷ المرجع السابق، ص 108.

وبقلبي من الهموم مديدٌ وبسيطٌ ووافرٌ وطويلٌ
لم أكنُ عالمًا بذاك إلى أنُ قطعَ القلبَ بالفراق خليلٌ

وقول الشيخ بهاء الدين السبكي رحمه الله:

إذا كنتَ ذا فكرٍ سليمٍ فلا تَمِلْ لعلمِ عروضٍ يُوقِعُ القلبَ في الكربِ

فكلُّ امرئٍ عانى العروضَ فإنما تعرَّضَ للتقطيعِ وانساقَ للضربِ³⁸

ولم أجد الدماميني مثلاً بشعر أبي العلاء المعري في قواعد العروض مع أن للمعري أبياتاً كثيرة في العروض ودقائقه، ولو أراد الدماميني التمثيل بشعر أبي العلاء لوجده على حبل ذراعه، ومن أبيات أبي العلاء في العروض قوله:

شُرُّ الحياة بسيطة مدمومة عمدتُ لها بالسُّوء كَفُّ الغالثِ

وسلامة كسلامة الجزء الذي بـ(الضرب) لز من (الطويل الثالث)

وهو يشير إلى أن قبض (فعولن) التي قبل الضرب الثالث من الطويل أحسن من عدم القبض أي أن عدم السلامة في هذا الموضع خير من السلامة، وهذا القبض زحاف، والأصل أن السلامة من الزحاف أحسن من الزحاف، وهذا المعنى ذكره الدماميني في عرضه لتعريفات الزحاف فقال: "وقيل: الزحاف تغييرٌ عدمُه أحسن من وجوده، ونُقِضَ بقبض (فعولن) التي قبل الضرب الثالث من الطويل، فإنه أحسن من عدم القبض اتفاقاً مع أنه زحاف"³⁹.

وسئلت مرة عن علة ضم كلمة دون تنوينها مع أنها غير ممنوعة من الصرف فما زدت على أن نقلتُ أبياتاً ثلاثة، وهي:

³⁸ المرجع السابق، ص 41-42.

³⁹ المرجع السابق، ص 78.

كأني تنوينٌ وأنتَ إضافةٌ فحيثُ تراني لا تحُلْ مكاني

وقول ابن نباتة (768هـ):

فعلتُ راحتاه في كلِّ عسرٍ مثلَ فعلِ المُضَافِ في التنوين

وقول الحسن الهبل (1079هـ):

لكنْ إضافةٌ ودِّ فيك ثابتةٌ لم يسعَ في قطعها مذ كان تنوينُ

هل يُنقد الشعراء في استعمالهم المعاني والمصطلحات اللغوية؟

لم يستحسن ابن سنان الخفاجي استعمال مصطلحات العلوم في الشعر ولا في النثر! فقال: "ومن وضع الألفاظ موضعها: ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب: ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيمهم والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم"⁴⁰ ومثّل بأبيات لأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري، وإنه لأمرٌ عَجاب لأن "الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة"⁴¹، وإنما يسيء الشاعر أو يحسن بعد ذلك بيانا وتصويرا في استعمال ألفاظ المتكلمين والنحويين ... إلخ، وعلى هذا فليكن نقد الشاعر ومؤاخذته لا على أنه استعملها ابتداء، وكذلك فعل صلاح الدين الصفدي إذ استحسن قول السراج الوراق:

يا ساكنا قلبي ذكرتك قبله رأيت قبلي من بدا بالساكنِ

وجعلته وقفًا عليك وقد غدا متحركا بخلاف قلب الآمن

ثم نقد قول شمس الدين محمد بن التلمساني:

يا ساكنا قلبي المعنى وليس فيه سواه ثان

⁴⁰ سر الفصاحة، ص 166.

⁴¹ المثل السائر، 2/336.

لأي معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

قال ابن الصفدي في نقد بيتي شمس الدين التلمساني: "هذا المعنى رأيت جماعة من أهل العصر قد لهجوا به واستحسنوه، وهو فاسد، وذلك أن القلب وعاء للساكنين، والظرف غير المظروف، والقاعدة أن الساكنين إذا التقيا كسر الثاني منهما، وإذا كسر قلبه فليس بعجيب لأنه غير الساكنين وليس واحدا منهما، فما لإنكاره عليه معنى، فتأمل ذلك يظهر فساده"⁴².

وممن أخذ عليه ابن سناء الملك في تصوير العناق بقوله:

وليلة بتنا بعد سكري وسكره نبذتُ وسادي ثم وسدته يدي

وبتنا كجسم واحد من عناقنا وإلا كحرف في الكلام مشدد

قال شهاب الدين المغربي (776هـ): "لو قال كحرف في النظام ما وقع في الملام لأن الحرف المشدد في اللفظ معدود عند العروضيين بحرفين، وأما في الخط فلا، فعلى هذا لا يتم له ما أراد، ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد، ولا عذر له لأن الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة"⁴³، فليس المأخذ من جهة استعماله المعاني والمصطلحات اللغوية بل لأنه لم يُحسن - في نظر الناقد- تشبيه العناق والجسم الواحد بالحرف المشدد، وذكر هذا المأخذ على ابن سناء الملك آخرون غير شهاب الدين، وعندني أن ابن سناء الملك لا يؤاخذ في التشبيه بالحرف المشدد، لأنه في هذا البيت شبّه مرتين فالتشبيه الأول كسجم واحد ثم قال: وإلا كحرف فهذا تشبيه ثان ولم يقل كسجم واحد مثل الحرف المشدد، أي فهما كجسم واحد وإن لم يكونا كذلك فهما كالحرف المشدد، فهو

⁴² نصرة الثائر على المثل السائر، ص222_223.

⁴³ ديوان الصباية: شهاب الدين المغربي، دار ومكتبة الهلال، ص210.

تشبيه التصاق الحبيبين بالحرف المشدد وهما حرفان كما أن الحبيبين اثنان، ولا أرى
المأخذ صحيحا إلا برواية⁴⁴:

وبتنا كجسم واحد... وكالحرف في لفظ الكلام المُشَدَّدِ

فالرواية وكالحرف ... المشدد لا تناسب قوله كجسم واحد.

ومنهم من يشبه العناق بشكل التنوين مع أنهما لا يتماسان. قال أبو الفضل الميكالي:

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا ونحن نحكي عناقًا شكل تنوين

وأحسن المتنبي في التشبيه بالتنوين فقال:

دون التعانق ناحلين كشكلي نصبٍ أدقهما وضم الشاكر

فالفتحتان متقاربتان لكنهما لا تلتقيان، وقيل إن المتنبي أخذه من قول الشاعر⁴⁵:

إني رأيتك في نومي تُعانقني كما تعانقُ لأم الكاتب الألفا

وأخذ الشاعر أبو المحاسن الشواء على عصره ابن عنين قوله في هجاء رجل يسمى ابن
مأزة:

مألُ ابنِ مأزةٍ دونهُ لعفاته شوكُ القتادةِ أو منالُ الفرقدِ

مألُ لزومِ الجمعِ يمنعُ صرفهُ في راحةٍ مثلِ المنادى المفردِ

وابن عنين يريد أن المهجو ابن مأزة لا يبسط كفه بالإنفاق، فهي مضمومة مثل الضم في
المنادى المفرد، فاعترض عليه أبو المحاسن فقال: هذا ليس بجيد، ف قيل له: "ولم ذاك
فقال: ليس من شرط المنادى المفرد أن يكون مضمومًا، ولا بد، فقد يكون المنادى مفردًا

⁴⁴ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، 440/2.

⁴⁵ الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 239.

ولا يكون مضمومًا بأن يكون نكرة غير معين كما تقول: يا رجلًا⁴⁶ ثم إن أبا المحاسن أراد أن يقول بهذا المعنى شعرا لا يُؤاخذ ولا يستدرك عليه، فجعل ضم الكف مثل الضم في (حيثُ) بل ودَّ لو أن الكف مكسورة كالكسرة في (أمس) فقال:

لنا خليل له خلال تعرب عن أصله الأخصي

أضحت له مثل (حيث) كف وددتُ لو أنها ك(أمس)

فأخذوا عليه ولم يسلم من النقد! لأن (حيث) "فيها لغات، فمن العرب من يبنها على الضم، ومنهم من يبنها على الفتح، ومنهم من يبنها على الكسر، وفيها لغات آخر غير هذه، وأما أمس فمنهم من يبنها على الكسر، ومنهم من يقول: إنها اسم معرب لكنه لا ينصرف"⁴⁷.

والذي أراه أن مؤاخذة الشاعر في استعمال المعاني والقواعد اللغوية لا ينبغي أن تكون كهذا النقد لأن الشعر يُكتفى فيه باللمحة والإشارة ويضيق عن حمل كل ما يدفع به المآخذ، فكم لغةٍ تخالفها لغات أخرى، وكم مسألةٍ لغوية اختلف فيها أهل اللغة وتنازعوا فيها! وكم مسألةٍ تعددت فيها الوجوه الجائزة، وكم قولٍ نحوي يصدق على وجه دون آخر، وكم من قاعدة نحوية يستثنى منها مسائل! فإذا أراد الشاعر أن يستعملها في شعره وألزم نفسه بإضافة كل قيد ومستثنى وذكر كل رأي وخلاف ضاع الشعر وغاب رونقه وبهاؤه، وقد مرَّ بك أن ابن هشام أعجب بقول ابن عنين:

كَأَنِّي مِنْ أَخْبَارِ (إِنَّ) وَلَمْ يُجْزِ لَهُ أَحَدٌ فِي النَّحْوِ أَنْ يَتَقَدَّمَ

فقال: "وما أحسن قول ابن عنين يشكو تأخره..." مع أن خبر (إن) يتقدم إن كان ظرفا أو جارا ومجرورا، وابن هشام نفسه قال بعد إيراد بيت ابن عنين: "ويستثنى من ذلك

⁴⁶ وفيات الأعيان، 233/7.

⁴⁷ وفيات الأعيان، 233/7.

ما إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً"، فلم ير في ذلك مأخذاً على ابن عنين. وانظر إلى قول أبي الطيب المتنبي:

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلْقٌ تَخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِ(مَنْ)

فهو يهجو خلقاً حوله بأنهم لا يعقلون لذلك يخطئ من يستفهم عنهم ب(من) لأن (من) تستعمل للعاقل، وإنما يستفهم عنهم ب(ما) التي تستعمل لغير العاقل، وهو معنى بديع، ومع ذلك يجوز أن يُعترض عليه فيقال: اسْتَعْمَلْتَ (من) اسماً موصولاً لغير العاقل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ - وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ وقال الشاعر:

أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مَن يُعِيرُ جَنَاحَهُ لِعَلِّي إِلَى مَن قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

وفي القرآن: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

على أن لبّيت المتنبي وجهاً آخر لا يقع عليه هذا الاعتراض، وهو أن يكون الضمير في (تخطي) عائداً "على الخلق". يريد أنهم إذا قيل للرجل منهم: من أنت؟ لم يهتد للبيان في الجواب بل يخطئ فيه، وهذه مبالغة في الصفة بالجهل⁴⁸.

ولعل المتنبي أخذ هذا المعنى من قول الحماسي:

اللَّوْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ وَاللَّوْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَمَا وَلَدَا

قال الراغب الأصفهاني (502هـ): "ولم يقل (ومن ولدا) تنبيهاً أنه لا يستحق أن يقال له: (من) لكونه بهيمة. وعلى هذا قال المتنبي:

حولي بكل ...⁴⁹

⁴⁸ اللامع العزيمي، ص 1399.

⁴⁹ الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 80.

وإذا نظرت إلى قول أبي العلاء المعري:

تزوج إن أردت فتاة صدق كضمير (نعم) دام على الضمير

إذا أطلع الأوانس لم تطلغ إلى عرس تمر ولا أمير

فلك أن تأخذه كما هو، ولك أن تطرب لهذا المعنى، ومن أراد الاعتراض وجد إلى ذلك سبيلا لأن فاعل (نعم) ليس دائما على الضمير، وإنما يكون الفاعل في (نعم) و(بئس) ضميرا مستترا وجوبا إذا كان مفسرا بنكرة منصوبة على التمييز نحو ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ ولم يذكر المعري ذلك في شعره، وحتى لو ذكره لجاز أن يعترض عليه فيقول له قائل: هذا لا يستقيم لأنه يجوز أن يذكر الفاعل الظاهر مع التمييز، كما قال جرير:

والتغليبيون بئس الفحل فحلهم فحلا وأمهم زلاء منطيق

ف(الفحل) فاعل و(فحلا) تمييز⁵⁰.

خفاء المعاني اللغوية في استعمال الشعراء أحيانا:-

وقد رأيت أن هذه المعاني اللغوية التي يبثها الشعراء في أبياتهم قد تخفى على غير المطلعين أو المتخصصين، بل قد تخفى المعاني اللغوية عند الشعراء على المتخصصين أنفسهم! وربما رأى نحوي من المعاني عند شاعر ما لا يراه نحوي آخر! ومثال ذلك بيت المتنبي في مدح أبي شجاع عضد الدولة بعد أن عدّد صفات له فقال:

أبا شجاع بفارس عضد الد دولة فناخسرو شهنشاهها

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

فابن جني يرى أن في هذا البيت معنى نحويا إذ يقول: "وهذا البيت هو كلام النحويين في أحد ضربَي الوصف تناوله منثورا فنظمه، وذلك أن الوصف عندنا إنما يجيء في

⁵⁰ ويرى نحويون أن (فحلا) ليس تمييزا بل هو منصوب على الحالية أو منصوب بفعل مُضْمَر يُفسِّره المقام.

الكلام لأحد أمرين، إما للإيضاح والتخصيص نحو: مررت بجعفر الظريف، وبأبي محمد العاقل، فإذا أشكل جعفر وأبو محمد والتبسا بغيرهما جئت بالوصف لتخصيصهما به، وإما للإسهاب والإطناب نحو: (بسم الله الرحمن الرحيم) لم يُجأ بهما هنا للإيضاح لأن اسم الله عز وجل لا يشركه في غيره فيفصل بينهما بالوصف وإنما ذكر للإسهاب والإطناب في الثناء، فكَذلك معنى هذا عنده لأنه إذا قال: وسرت حتى رأيت مولاها، فقد علم أنه لا يعني إلا أبا شجاع عضد الدولة، فقولُه بعد ذلك: أبا شجاع فناخسر عضد الدولة شهنشاهها، إنما هو ثناء وإطناب وإسهاب، ولا يريد بذلك التعريف والإيضاح، لأنه غير مجهول⁵¹. وليس كل من شرح ديوان المتنبي ذكر هذا المعنى.

وقد وافق الواحدي في شرحه لديوان المتنبي ابن جني في هذا المعنى ونقل كلامه في هذا الموضوع مع أنه يرى أن ابن جني "إذا تكلم في المعاني تبلى حماره ولج به عثاره"⁵²، بل تعقبه في موضع آخر من شرح ديوان المتنبي قال فيه: "وهذا هذيان المبرسم والنائم وكلام من لم يعرف المعنى"⁵³.

وللمتنبي كلام يدل على أنه يعتني بالنعويين ويحرص على أن يترك لهم في شعره ما ينشطون له ويتدارسون فيه. "قال ابن جني: وقال لي يوما، أتظن أن عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به؟! ليس الأمر كذلك، لو كان لهم لكفاهم منه البيت. قلت: فلمن هي؟ قال: هي لك ولأشباهك"⁵⁴.

خاتمة بأمثلة من الشعر القديم والحديث:-

⁵¹ الفسر 763/3.

⁵² شرح الواحدي لديوان المتنبي، ص 80.

⁵³ المرجع السابق، ص 433.

⁵⁴ الكتاب المطبوع باسم (معجز أحمد)، 350/4. والصحيح أن هذا الكتاب ليس معجز أحمد وليس للمعري كما يبين ذلك د. محمد عبدالمجيد الطويل ود. محمد عبدالله العزام. ينظر: مقال عنوانه: ليس للمعري أدلة إضافية على تزوير الكتاب المنشور بعنوان (معجز أحمد).

وإليك هذه الأمثلة التي استعمل فيها الشعراء المعاني والمصطلحات اللغوية من الشعر القديم والشعر الحديث:

ابن الرومي (283هـ):

وكل مطاولٍ لك فهو خافٍ خفاء الحرف لابسه ادغامٌ

ولابن الرومي مواضع في ديوانه استعمل فيها القواعد والمسائل اللغوية، ومنها الشعر الفاحش البذيء.

أبو الفتح البستي (400هـ):

عزلت ولم أذنب ولم أك جانياً وهذا لإنصاف الوزير خلاف

حُدِفْتُ وغيري مثبتٌ في مكانه كأني نون الجمع حين يضاف

الفرج بن أحمد المعروف بابن الأخوة (546هـ):

والحظّ يرفعني طوراً ويخفضني كأنني من قوافٍ وهو إقواءٌ

ابن سهل الأندلسي (649هـ) وهو من المكثرين في استعمال المعاني اللغوية:

أموسى أيا بعضي وكلي حقيقةً وليس مجازاً قولِي الكَلِّ والبعضا

خفضتَ مكاني إذ جَزَمْتَ وسائلي فكيفَ جَمَعْتَ الجَزَمَ عندي والخفضا

والجزم والخفض لا يجتمعان لأن الخفض خاص بالأسماء والجزم خاص بالأفعال، فلا جزم في الأسماء ولا خفض في الأفعال، والكلمة التي تُخفض لا تجزم والتي تُجزم لا تُخفض، لكنهما اجتمعا عند ابن سهل الأندلسي.

الشاب الظريف (688هـ):

لكل ذي كِبَرٍ إكبار تكرمة وكل ذي صِغَرٍ تصغير تحبيب

والبوصيري (696هـ) له مواضع كثيرة منها سبق، ومنها قوله:

لكل شرطٍ جزاءٍ من مكارمهِ وكلُّ مبتدأٍ منها له خبرٌ

ولصفي الدين الحلبي (752هـ) مواضع، ومنها:

من لي بقربك والمزارُ عزيزٌ طُوبى لمن يحظى به ويفوزُ

فلو استطعتُ رفعتُ حالي نحوكم لكنّ رفعَ الحالِ ليسَ يجوزُ

وقال ابن حجة (837هـ):

إغراء لحظك مالي منه تحذيرٌ ولا لتعريفٍ وجدي فيك تنكيرٌ

يا نصب عيني غرامي كيف أجزمه والقدُّ مرتفعٌ والشعرُ مجرورٌ

ابن معنوق (1087هـ):

وَمُضَارِعٍ لِلْبَدْرِ مَاضٍ لِحَظُهُ مُتَسَتِّرٌ فِيهِ ضَمِيرٌ فُنُونٌ

رشأ غدت حركات كسر جفونه تبني على فتح الشهاد جفوني

ابن معصوم المدني (1119هـ):

يا حسنها جارية أقبَلتُ في الليل والليلُ بها كالتَّهَارُ

لما رأيتني خفضت طَرْفَهَا فقلت ما أحسنَ خفضَ الجوازِ

ابن رزيق العُماني (1291هـ):

لبدور تمّ في عُمان منازلٌ لا يستطيع لوصولهنّ منازلٌ

نعم المنازل والبدور لهن من ضوء المنازل والبدور دلائل

فثناؤهن غدا بسيطا وافرا وجمالهنّ هو المديد الكامل

محمود سامي البارودي (1322هـ)

كَأَنَّمَا أَنْفُهُ مِنْ طَوْلِ سَجْدَتِهِ فِي حَانَةِ اللّهِوِ حَرْفٌ فِيهِ إِدْغَامٌ

أبو مسلم البهلاني (1339هـ):

لَقَدْ كَانَ قَدَمَا سَالَمَا جَمَعَ شَمَلْنَا فَمَا سَامَهُ التَّكْسِيرُ إِلَّا الْجَدِيدَانَ

أمين ناصر الدين (1373هـ):

سَأَلْتُنِي عَنِ التَّنَازَعِ يَوْمًا غَادَةً بِالْجَمَالِ تَسْبِي وَتُصْبِي

قَلْتُ إِنْ كَانَ لِلتَّنَازَعِ مَعْنَى فَهُوَ مَا بَيْنَ نَاطِرَيْكَ وَقَلْبِي

محمد مهدي الجواهري (1418هـ):

وَلَقَدْ بَلَّغْتَ مِنَ التَّفَاوُلِ أَوْجَهُ وَقَلَائِلُ مِنْ يَفْعَلُونَ قَلَائِلُ

حَتَّى تَفَاعِيلُ الْبَحُورِ قَرَأْتَهَا مِتْفَائِلُ مِتْفَائِلُ مِتْفَائِلُ

عبد الله بن علي الخليلي (1421هـ):

وَهَلِ أَلْوَمٌ صِفَاتِي وَهِيَ سَالِمَةٌ إِذَا جَمَعْتُ سِمَاتِي جَمَعَ تَكْسِيرِ

وَهَلِ أَلَامٌ لَمَّا شَاهَدْتُ تَمَّ إِذَا صَوَّرْتُ رُوْعَتَهُ مِنْ رُوْعِ تَصْوِيرِ

نَصَبْتُ بِالرَّفْعِ أَعْلَانِي بِهِ وَلَكَّمْ رَفَعْتُ لَكُنْ عَلَى تَمْيِيزِ مَجْرُورِ

الشيخ سيف بن محمد الفارسي (1433هـ):

فَصَبَّحَهُمْ رَفَعًا عَلَى جَمْعِ سَالِمٍ وَمَسَّاهُمْ خَفْضًا وَجَمَعَهُمْ كَسْرُ

جاسم الصحيح:

كَالْأَبْجَدِيَّةِ بَعْدَ حَرْفِ الْيَاءِ مِتَشَرَّدُ أَنَا خَارِجُ الْإِحْسَاءِ

ولجاسم بيت حفظته الولدان وسارت به الركبان هو من التوجيه في علم الحديث قال
فيه:

كُلُّ النِّسَاءِ أَحَادِيثُ بِلَا سِنْدٍ وَأَنْتِ أَنْتِ حَدِيثٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ

يوسف الكمالي:

لَقَدْ رَكِبْتُ حُرُوفَ الْجَرِّ دُونَ يَدٍ فَصَرْتُ أَهْرَبُ مِنْ شَيْءٍ وَأَهْرَبُ (فِي)

الجلندي الخصبي:

لَمَّا التَّقِينَا سَاكِنِينَ تَثَاقَلْتُ لُغَةَ الْهَوَى وَتَخَاذَلُ التَّعْبِيرُ

حَرَكْتُ مِنْ وَتْرِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا شِعْرِي فَكَدْتُ عَلَى يَدَيْكَ أَطِيرُ

سالم الخولاني:

تَسَبُّ أَبِي وَتَهْجُونِي اغْتِيَابَا وَمَا ذَنْبِي لَدَيْكَ سِوَى اعْتِلَائِي

وَبَيْنَكَ وَالْعَلَا أَمْدٌ بَعِيدٌ كَبُعْدِ الْيَاءِ عَنِ الْفِ وَبَاءِ

وقريب منه قولي:

فَإِنِّي إِذَا مَا انْهَلَّ وَحْيِي تَسَابَقْتُ حُرُوفِي تَكَادُ الْيَاءُ بِالْبَاءِ تَلْحَقُ

فواز اللعبون:

لِي فِي ضَمِيرِ الْوَصْلِ أَلْفٌ عِلَامَةٌ مَعْطُوفَةٌ وَجَمِيعُهَا مِنْكَ ابْتِدَاءٌ

وَالْقَلْبُ مَفْتُوحٌ عَلَى مِصْرَاعِهِ تَقْدِيرُهُ ادْخُلْ مَا لِكَا مِتْفَرِّدَا

وَالرُّوحُ مِنْذُ ضَمَمْتُهَا مَرْفُوعَةٌ وَكَأَنَّهَا خَيْرٌ وَأَنْتِ الْمَبْتَدَاءُ

هلال الشيادي:

كما قصيدي أنا سهل وممتنع كالبئر حربي عذب ذو غيابات

أنا سكونُ أنا رفَعُ أنا قلبي وتلكمُ الكسرة الولهي معاناتي

سارة الزين:

قليلًا منك يا موتي لأشفي فقد تعب المرید وليس يُعفى

أنا محتاجة جدا لحضن ولي قبرٌ يُراودني ومنفى

ولي دمع مسائي أنيق وموزونٌ على عيني مقفَى

إبراهيم حمدان:

وقرأتُ في عَيْنِ المليحةِ جُملة إعرابها - يا أنت- إنك موطني

لا تُفصحي بالقول إن عيوننا في البوح أفصحُ من كلام الألسن

تميم البرغوثي:

دهاني الظبيُّ لما دار نحوي ولا يدري بما في الصدر نحوي

أنا أصلا لسانِي ونحوي رأيتمُ نسيْتُ الأبجديةُ

وللمعاصرين مواضع كثيرة، وما وقفت إلا على نزر يسير منها، وما ذكرت إلا نماذج مما رأيت، وهذا الموضوع طريف، ويمكن أن موضوعا لتأليف أو مشروع تخرج.